غرام الكبار

obeikan.com

obeikan.com

ماذا عن الصالونات العربية ؟!

وهل هناك صالونات عربية بخلاف صالون مي ؟

وكيف أصبح صالون مي زيادة هو وحده سيد كل هذه الصالونات التي توارت خلف بريقه ؟!

وما الذي صنع هذا البريق الخلاَّب لصالون تلك الساحرة اللبنانية ؟!

هل هي عظمتها وسحرها ؟

أم هم كوكبة نجوم الصالون الذين زانوه تألُقاً وجمالاً ؟

أم هي معارك الغرام الطاحنة التي دارات رحاها وجرت وقائعها في صالون مي الكائن بوسط القاهرة المحروسة عاصمة مصر ؟!

أم أنه كل هذه الأسباب مجتمعة وأكثر ؟!

هذه وقفة مع الصالونات العربية وكيف أصبح صالون مي هو الأشهر والأعرق والأهم عبر تاريخ تلك الصالونات .

***

نشأت هذه الصالونات بمعناها الحديث في حقبة اتسمت بالنزوع إلى التحرر من الحكم العثماني أي أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين حيث تعاظم دورها في مرحلة ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية عندما سيطر الاستعمار الغربي على الأقطار العربية فنما النزوع الوطني والقومي بدلاً من النزوع الإسلامي الموالي للعثمانيين إثر التحرر والقيام بالثورات الوطنية ضد المستعمرين.

هذا التحول الفكري الكبير والتغيير الاجتماعي الذي حصل قام به مجموعة المثقفين وأعلام الفكر والأدب والصحافة الذين حصّلوا العلم والمعرفة التراثية العربية وكذلك العلوم العصرية الغربية الذين كوّنوا زادهم المعرفي في المدارس

الأهلية الوطنية ومدارس الإرساليات التبشيرية ومن معاهد وجامعات أوروبا التي منحتهم أعلى الشهادات وأحدث العلوم ولّما عادوا إلى الوطن حاولوا تطبيق معارفهم العصرية في مجتمعاتهم وأهمها الأفكار الديمقراطية والمساواة وتحرير المرأة.

ولا ريب أن نضع في الإعتبار لقاءات هذه النخبة في المقاهي العامة أو بيوت الأدباء والوجهاء حيث كانت تدور المناقشات وكانوا يترددون على المنتديات الأدبية الموجودة من أجل تبادل الآراء والأفكار الثقافية والسياسية والاجتماعية والعلمية .

وكانت هذه الاجتماعات حكراً على الرجال بخلاف النساء اللواتي كانت مشاركتهم على استحياء شديد .

رغم حصول بعضهن على قسط من الحرية الفردية وعلى نصيب وافر من العلم وكانت المساهمة النسوية تتم بحروف رمزية أو بأسماء مستعارة أو أسماء الذكور.

ومع ذلك لم تكن تنقصهن الشجاعة فبرز منهن من زاحم الرجال في انشاء الصحف والجمعيات والمنتديات الأدبية. كان رائد النساء المثقفات المناضلات ما يعرفنه عن النساء وزوج امرؤ القيس في الجاهلية وسكينة بنت الحسين بن علي وعائشة بنت طلحة الأموية وولادة بنت المستكفي وحفصة الركونية في الأندلس وما يعرفن عن الصالونات الأدبية الفرنسية التي أدارها نساء مثقفات في القرنين السابع عشر والثامن عشر مثل :

صالون أوتيل دي رامبوليه عام ١٦٠٨ ميلادية وصالون مدام دي ستال وصالون جوفرن في باريس .

وكان من أشهر الصالونات الأدبية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين صالون الأميرة الكسندرا أفرنيوا في الاسكندرية وصالون الأميرة نازلي فاضل وصالون مي زيادة في القاهرة وصالون مريانا المراش في حلب وصالون

ماري عجمي في دمشق.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين قامت صالونات أدبية مثل: شريفة فتحي في القاهرة وزكريا الحافظ في دمشق وضياء قصبجي في حلب ولكن هذه الصالونات تلاشت لأن مبررات وجودها تلاشت لأسباب كثيرة .

وإذا استعرضنا أحوال بعض الصالونات في الاسكندرية والقاهرة وحلب ودمشق إلا أننا سنتوقف حتماً ونتفكر ملياً في صالون مي زيادة لتميزه من جهة ولتفرد صاحبته من جهة أخرى.

صالون مي زيادة بدأ بالاجتماعات التي كانت تحدث في بيت والدها أي منزل العائلة حيث كان يجتمع الأصدقاء مثل د. شبلي شميل وخليل مطران شاعر القطرين وأنطون الجميل وسليم سركيس .وكانت هذه الاجتماعات فردية وعلى شكل سهرات عائلية دون تحديد ومواعيد ثابتة. وقد مهد لقيام هذا الصالون الزيارات الخاصة لوجهاء مصريين من أرباب الثقافة والسياسة مثل اسماعيل باشا صبري وعباس محمود العقاد وادريس راغب باشا حيث كانوا يترددون على بيت مي زيادة قبل أن تنظم مواعيد جلسات الصالون الأدبي في يوم الثلاثاء وبهذا دخل هذا الصالون التاريخ الأدبي العربي من أوسع أبوابه.

وقد بلغ عدد الرواد الأوائل في كل شيء الذين كانوا يرتادون هذا الصالون بموجب كلام عباس محمود العقاد ثلاثون أديباً وسياسياً ومثقفاً. كانوا يحضرون أو ينيبون بحسب الظروف والمشاغل والوقت المتاح لزيارة القاهرة :« كان الصالون يلتئم في بيت والد مي ، السيد الياس زيادة الذي كان يرحب بالجميع مع زوجته ووحيدته «مي» التي تجلس وحولها حشد من هؤلاء العمالقة من أمثال: ولي الدين يكن وأحمد لطفي السيد باشا وأنطون باشا الجميل صاحب مجلة الزهور و د. شبلي

شميل وخليل مطران وأحمد زكي باشا شيخ العروبة والأمير مصطفى الشهابي وعباس محمود العقاد وطه حسين والشاعر أحمد شوقي والشاعر حافظ إبراهيم ورشيد رضا وسلامة موسى والرافعي وزكي مبارك واسماعيل صبري باشا وخطاط القصر نجيب هواويني وعبد العزيز باشا فهمي وابراهيم عبد القادر المازني ومحمد حسين هيكل وطاهر الطناحي وبنت الشاطئ ومارون عبود ووديع فلسطين وأميل الريحاني وهدى الشعراوي وباحثة البادية وروز اليوسف وخليل تقي الدين وعبد الله يوركي حلاق وشبلي الملاط وجبر ضومط والأب أنستاس الكرملي وخليل مردم والدكتور مرشد خاطر وشكيب أرسلان والشاعر القروي والأديبة منيرة المحايري وروز عطا الله ونسيبة الأيوبي كما عرف مي زيادة وصالونها عدد كبير من المستشرقين الأجانب مثل: د. يوسف شاخت وألفونسو والمستشرقة آنا ماريانا للينو ولويس ماسينيون ودافيد صامويل وغيرهم.

جاوزت أخبار الصالون مصر إلى الأقطار العربية وبلاد المهاجر فكانت مراسلات وكتابات في الصحف والمجلات تتطاير في الآفاق تتحدث عنه .. وقد عدّ نفر من الأدباء مجلس مي زيادة في كل ثلاثاء : ندوة الأدب ومجمع الشعراء وسموا ذلك العهد عهد (مي زيادة) كما ورد في قول الأديب جبر ضومط :

حدثينا يانسيمات الصباح عن زمان قد مضى في عهد مي

كانت مي تجيد الغناء والعزف على الآلات الموسيقية وتجيد ستة لغات وتجيد إدارة الحوار ودماثة الخلق في الحديث مما زاد في شهرتها واشعاعها وقد كتب عنها أحمد شوقي واسماعيل صبري باشا والعالم الجليل يعقوب صروف صديق والدها ومربيها ومعلمها وأعطاها تسميات وألقاب جميلة مثل : ربّة اليقظة والكمال- الامبراطورة – النابغة مي- الدرة اليتيمة – ربة القلم وغير ذلك .. كان يحضر

مجالسها رغم مرضه الشديد وكتب عنها وإليها مصطفى صادق الرافعي وشبلي شميل وولي الدين يكن .. لقد خاطبت مي زيادة هؤلاء العمالقة من أصدقائها : «لا تستعمل قوتك لظلم المرأة لئلا تستعمل هي قوتها للضحك منك وتكون بذلك خاسراً أعذب عطايا الحياة».

لم تُوصف مي زيادة بالمرأة الجميلة ولكنها كانت جذابة ولهذا كانت توحي لكل واحد من محبيها أنها تحبه وحده فكانوا جميعاً يلتفون حولها ولا يستطيعون الابتعاد عن صالونها أو التأخر عن موعد يوم الثلاثاء فكانت بحق ظاهرة ثقافية حضارية وعندها من السحر ما جعلها تمتاز عن مثيلاتها من النساء. كانت ملهماً لكل هؤلاء العمالقة وتحوّلت إلى قصة اجتماعية بين الناس وكانت مثلها مثل كل العباقرة لغزاً وعلى النقاد والباحثين عن دراسة هذا اللغز. لقد كانت هذه الصالونات الأدبية نتيجة طبيعية لتسلل الفكر التنويري إلى الشرق ولهذا كانت النقاشات حادة وحارة وكان الجدل بكل ما في هذه الكلمة من معنى – نبراساً لهؤلاء الأدباء والمفكرين والسياسيين تطل عليه مي زيادة بظرفها وجمالها وحيويتها. فكانوا يلتقون ببعضهم ويتبادلون كل شيء الأمر الذي جعل من ظاهرة الصالونات الأدبية عاملاً مهماً من أبرز العوامل في اليقظة الفكرية والنهضة السياسية والاجتماعية في الوطن العربي .

فماذا عن صالون مي زيادة .. ذلك الصالون الساحر ؟!

■ ■ ■